

تاريخ الخيل والفروسية في العراق القديم

الإستاذ . رضا الهاشمي

كلية الآداب - جامعة بغداد

تقديم

٣ - العلاقة بينها وبين الأخدر والحمار باعتبارها جميعاً حيوانات متشابهة في هيئتها عند رسمها او نحتها ، واشكال بقاياها العظمية ، واستخدامها .

٤ - طرائق استخدام الخيل فيما له علاقة بمهارات الفروسية . وسنجد في هذه الدراسة لاسناد معلوماتنا بأوثق المصادر وهي المخلفات الاثرية من بقايا عظمية ورسوم ومنحوتات اضافة الى الثروة الكبيرة من معلومات النصوص المسماة التي تعين على تتبع الجوانب التفصيلية للموضوع .

١ - موطن الخيل وتاريخ تدجينها :

أن رسوم الكهوف التي تركها لنا انسان العصور الحجرية القديمة تشير بوضوح الى ان الخيول البرية كانت من بين الحيوانات المختلفة التي سعى الانسان لاصطيادها (١) . ولكون هذه الكهوف تقع في السلاسل الجبلية الكبيرة لاوريا واسيا فالراجح ان هذه الخيول كانت تنتشر بحالتها البرية الى الشمال من هذه السلاسل في اوراسيا (٢) . وربما تسببت اعمال الصيد في تقليص اعداد الخيول البرية ، وهناك مناطق قليلة ، وبخاصة في شرق اسيا ، تتوفر على تجمعات للخيول

منذ نيّف وعشر سنوات نشرت بحثاً عن الابل في العراق القديم من حيث بدايات تدجينها واستخدامها وفوائدها واهميتها في تاريخ الحضارة القديمة . واتماماً لفوائد ذلك البحث نتناول في بحثنا هذا تاريخ الخيول وبدء معرفتها واستخدامها في العراق القديم ، باعتبارها من حيوانات النقل والسحب والركوب منذ مطلع الألف الثاني ق . م .

ويرتبط بالخيول موضوع الفروسية واهميته العظيمة في ميدان الحروب القديمة ، حيث يرجع معظم الباحثين لاستخدامها في الحروب الفضل الكبير في تحقق الانتصارات العسكرية الحاسمة للأشوريين ، اضافة الى ما يحتله الفارس من مكانة متميزة عبر الفترات التاريخية .

يلزمنا الخوض في هذا الموضوع لمناقشة النقاط التالية التي تشكل سياقات متداخلة ومكملة لبعضها مثلما تعتبر مدخلاً ضرورياً لتفحص جوانب الموضوع المختلفة والغوص في تفاصيله :

١ - موطن الخيل وتاريخ تدجينها

٢ - بدء وكيفية معرفتها في العراق

ص ١٠١ ، كذلك منحوته من العاج لحصان ص ١٠٩ وقد جاء معظم هذه الرسوم من سلسلة الكهوف الفرنسية الاسبانية .

2-Brothwell, Don and Higgs, Eric (Eds):

Science in Archaeology. Thames and Hualson
1969. P. 268

1-Pfeiffer, John: The Search for Early Man. Cassell-London, 1969. P. 21

صور محفورة على جدار كهف لاسكوس في فرنسا لسرب من الخيول من نوع Poney (صغيرة الحجم) ويرجع زمنها لعشرين الف سنة ماضية . انظر ايضاً صور الخيول على الصفحة

البرية . (٢)

كانت اراء الباحثين تحوم حول البقايا العظمية التي اكتشفت في اناو في الصين وتبه سيالك في اواسط ايران ، باعتبارها بقايا عظام خيول . ولكن ثبت حديثاً انها عظام حمر وحشية من نوع الاخدر ، مما يبعد هذه المناطق عن المراكز الاولى لتدجين الخيل . (٤)

ويبدو واضحاً من الموطن الاول لتدجين الخيل وهو هضاب اوكرانيا(٥). كيف بقيت مناطق شرق اسيا تحتفظ باعداد ملحوظة من الخيول البرية .

ان الخيول هي من احدث الحيوانات في قائمة الحيوانات المدجنة ، ويتراوح اقدم تاريخ لوجود الخيول بموجب الدلائل الاثرية لما بين ٤٠٠٠ - ٢٠٠٠ سنة ق . م ، وذلك بدلالة دمية رأس حصان خفاجي وهو من مواقع حوض نهر ديال في العراق ، والتي تؤرخ لعصر جمدة نصر (اواخر الالف الرابعة ق . م) . ولكن كثيراً من الشكوك تحوم حول هذه الدمية ، والراجح انها تمثل الاخدر اكثر من كونها لحصان ، بخاصة وان الاخدر عرف واستخدم في العراق القديم قبل غيره من المناطق . (٦) . وبسبب التشابه الكبير بين الاخدر وبين الحصان ، يصعب كثيراً التمييز بينهما في الاعمال الفنية وبخاصة الدمى ، وان احسن الرسوم التي امكن في ضوءها التمييز بين هذين الحيوانين هي المنحوتات البارزة لقصر الملك اشور پانيپال الشمالي في نينوى والتي سنتعرض لها لاحقاً . (٧) .

اما اقدم بقايا عظمية فأنها جاءت من موقعين مختلفين في اوكرانيا ، وكانت بعض العظام لخيول مدجنة . ويرجع زمن احد الموقعين الى تاريخ ٤٣٥٠ ق . م بينما يقدم نموذج آخر زمنياً يرجع لسنة ٣٧٢٠ ق . م . (٨)

ان سبب جعل عظام اوكرانيا تمثل النماذج الاولى للخيول المدجنة يرجع للشك الذي يحوم حول كل من دمية خفاجي وعظام سيالك ، التي حتى لو كانت لخيول ، فأنها لا تجزم بكونها مدجنة ، كما اشرنا الى ترجيح البعض لكونها تمثل حيوان الاخدر ومع كل هذه الاحتمالات ، فأن احتمال وجود الحصان في العراق للفترة ما بين عصر جمدة نصر وبداية عصر فجر السلالات ، يبقى قائماً . (١٠) .

يتضح مما سبق ان الخيول حيوانات اسيوية اوربية ، كانت تعيش بحالتها البرية في مناطق الهضاب الى الشمال من السلاسل الجبلية الكبيرة لهاتين القارتين ، وأن تدجينها حصل لأول مرة في اوكرانيا من مناطق الهضاب الاوربية .

٢ - بدء وكيفية معرفتها في العراق

اذا كان الموضوع الاول لا يهتما كثيراً عدا كونه يؤشر المناطق الاولى لأصول الخيل وتدجينها ، وان ذلك وقع بعيداً عن مراكز الحضارات القديمة في الشرق الادنى ، فالذي تهتما معرفته

جديدة لتدجين النبات والحيوان . انظر بشكل خاص خلاصة البحث على الصفحة (٢٢٢) ، والجدول الملحق الخاص بانواع الحيوانات المدجنة ومواطن تدجينها وتاريخ ذلك على الصفحات ٢٢٣ - ٢٢٧ ويتفق طرح هذين الباحثين من رأي آخر يجعل من القفقاس وجنوبي روسيا موطناً لتدجين الخيل . انظر :

Brothwell, Don and Higgs, Eric: op. cit. P. 268

6-Berger and Protsch: op. cit. P. 225; Speisere, E. A.: Excavations at Tepe Gawra.

vol. I, Philadelphia, 1935. P. 162

7-Moorey: op. cit. P. 37

8-Berger and Protsch: op. cit. P. 222

9-Moorey, op. cit. P. 36

10-Speiser: op. cit. P. 72

3-ibid.

4-Moorey, P. R. S.: «Pictorial Evidence for the History of Horse-Riding in IRAQ before the Kassite Period»

IRAQ. 1, 1970. P. 36

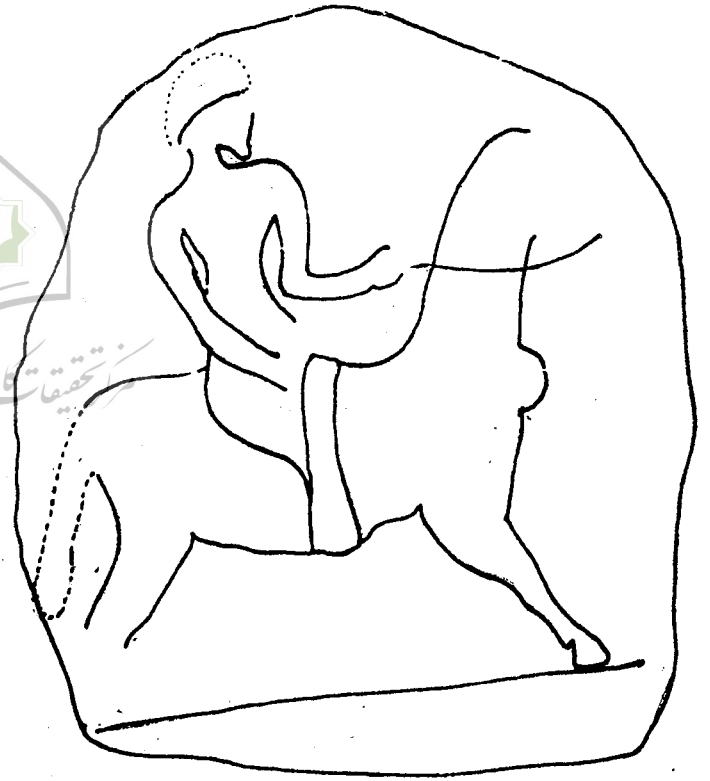
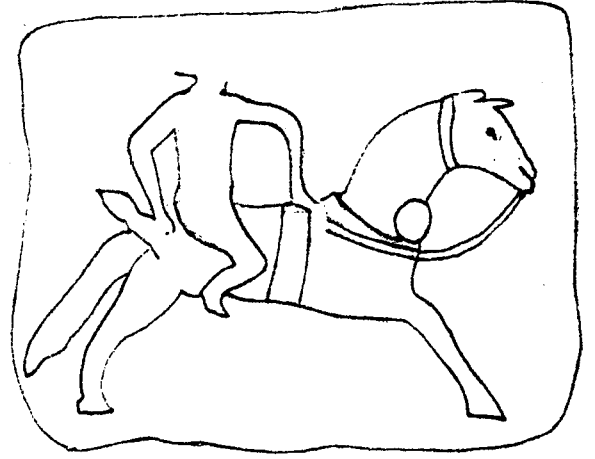
5-Berger, R. and Protsch, R.: «The Domestication of Plants and Animals in Europe and the Near East» in: Approaches to the Study of the Ancient Near East.

A volume of Studies offered to Ignace Jay Gelb.

on the occasion of his 65th Birthday . October, 14, 1972.

(Orientalia, vol. 42-1973) P. 222

وعلى العموم فأن دراسة هذين الباحثين تقدم تواريخ ومواطن



-٢-

التي تحوم حولها ، لذلك سنتجاوزها صوب الآثار الأخرى التي
تخص بدايات ظهور الخيل واستخدامها المؤكد في العراق
يعرض Moorey

يتعلق بكيفية وزمن معرفة العراقيين للخيول ، لكون العراق
واحداً من أولى المراكز الحضارية في الشرق الأدنى القديم .
ان الذي عرضناه بخصوص دمية خفاجي اوضح الشكوك

وكان اول ظهورها في نصوص سلالة اور الثالثة الاقتصادية من زمن الملك شلكي رغم ورودها باعداد قليلة . وعرفنا في ضوء هذه النصوص ان الخيول كانت توضع تحت رعاية اشخاص خاصين ، وتطعم بالحبوب ، وربما بسبب ندرتها واهميتها كان يذكر جنسها وعمرها ، مثلما يجري ذلك بالنسبة للخيول الاصلية حتى الوقت الحاضر . (١٥)

ان معلومات هذه النصوص تحسم موضوع بدء معرفة العراقيين للخيول وترجعها الى زمن شلكي (ثاني ملوك سلالة اور الثالثة حوالي ٢٠٥٠ ق . م .) اولاً ، وانها كانت مدججة بدلالة رعايتها واطعامها والتأكد من عمرها وجنسها حيث يتعذر التحقق من مثل هذه الامور مع الخيول البرية . ومع ذلك فإن هناك اشارة الى اللفظة نفسها في الرواية الاكديّة للمحمة جلامش حيث يرد ذكر الحصان في علاقة مع إنانا (عشتار) كما يذكره في فقرة اخرى ، جناح كالنسر ، (١٦) والراجع ان هذه الاشارة تتعلق بانواع برية من الخيول لاقتران ذكرها بالآلهة ووصفها في هيئة غير حقيقية ، وكذلك لانعدام اية اشارة تفرقتها بالتدجين . ورغم اهمية هذه الاشارات ، لكننا لا نعرف على وجه اليقين كيفية الاستفادة من الخيول ، فهل استعملت للركوب ام السحب ام لاغراض التسفيد بغية الحصول على البغال علماً ان الدلائل اللغوية تشير الى ان معرفة العراقيين للبغال لم تسبق العصر البابلي القديم ، حيث وردت الاشارة اليها في نصوص ماري ، (١٧) اي بعد زمن معرفة العراقيين للخيول المدججة .

تبرز الاهمية الاستثنائية لنصوص ماري وكرانا وجفار بازار ، لانها تعد اول واقدم النصوص التي تتحدث عن كيفية استخدام الخيول في العراق القديم . ففي رسالة من شمسي ادد الاشوري يطلب فيها من يسمح ادد الذي كان يحكم في ماري ، ان يرسل له بعضاً من بغاله وخيوله وكذلك بعض العربات لاجل الاحتفال باعياد اكيثو في اشور . (١٨)

وهكذا يكشف لنا هذا النص الذي يرجع زمنه لحدود عام

في دراسة هامة له عن الخيل ، لعدد من القوالب الطينية التي تكشف عن صور خيول مع فرسان على ظهورها ، حيث يتأكد لنا استخدامها كحيوانات مدججة للركوب . (١١) ان اللوحات التي امكن تشخيص جنس الحيوانات فيها ثبت انه حصان (ذكر) كما يتميز الحيوان بحجمه الصغير الذي يقترب كثيراً من حجم فصيل من الخيل يتميز بحجمه الصغير يعرف باسم . Poney . اما تاريخ هذه اللوحات فيمتد ما بين اواخر سلالة اور الثالثة والى عصر أيسن لارسه او العصر البابلي القديم ، اي بحدود (٢١٠٠ - ١٦٠٠ ق . م) وان معظمها جاء من مدن وسط وجنوبي العراق . (١٢)

وهكذا تكشف لنا هذه الدراسة عن بدايات استخدام الخيول المدججة في العراق القديم ، وانها استخدمت للركوب قبل الاشكال الأخرى من الاستخدامات .

ان الامر الذي ينتظر البحث والتدقيق يتمثل في زمن معرفة العراقيين للخيول البرية ، الذي يقع قبل زمن هذه اللوحات على وجه التحقيق . كما ان هذا الموضوع يدفعنا لمعرفة الحيوان الذي يشبه الحصان كثيراً والذي ظهر ممثلاً في عدد من اللقى الأثرية وهو يسحب العربات او استخدم للركوب ، مع العلم ان زمن هذه اللقى الذي ينسحب بالضرورة على الحيوان ايضاً يسبق زمن اللوحات التي تمثل الخيول . والمهم في هذا السياق الاشارة الى ان اعمال النحت والرسم والتصوير غير الدقيقة قد تخططين اشكال اربعة حيوانات استخدمت لاغراض متقاربة في تاريخ الحضارة العراقية القديمة ، مثلما تقترب من بعضها في هياتها العامة ، وهي الاخدر والحمار والبغل والحصان . (١٣) لذلك يتوجب علينا الاحتكام على دلالات أخرى حول بداية معرفة العراقيين بالخيول وكيف كان ذلك حيث تبرز في مقدمة هذه الدلالات المصادر اللغوية

ان الدراسات اللغوية للالفاظ المتعلقة بتسمية الحصان تتفق بأن لفظه ANSE-KUR-RA (١٤)

Jcs. 20 (1966) P. 122.

16-ibid.

17-CAD., I-J,P.141; Stephanie Dalley: Mari and Karana . Two old Babylonian Cities.Longman, London and New yosk. 1984. P. 165

18-Dalley,S.: ibid. P.161

11-Moorey: op. cit. pp. 36'46

12-ibid.P.41; Speiser: op. cit. P.70

13-Speiser: op. cit. P.70

14-Labat,R.: Manuel D'Epigraphie Akkadienne.Paris,1952. Sign no. 208

15-Civil,M.: «Notes on Sumerian Lexicography»

١٨٠٠ ق م . عن استخدام الخيول لجر العربات في الاحتفالات الدينية ، كما يشير الى كون مدينة ماري من مدن تربية الخيول . وفي رسالة اخرى معنونة الى زمري لم ، عزفنا في صوّئها ان الملك ارسل حصاناً هدية الى امير احدى المدن الواقعة شمال مدينة ماري . (١٩) ، حيث استخدمت الخيول كهدايا ثمينة تبادلها الملوك والامراء من زمن مملكة ماري ، وكانت مملكة قطنا الى الشمال من ماري ، من مراكز تربية وتكثير الخيول وتجاريتها . (٢٠) وبسبب ندرة الخيول ، اوربما ندرة الانواع الجيدة منها ، وغلاء اسعارها وكلفة تربيتها ، فأنها بقيت تجارة محتكرة لصالح الملوك والامراء . (٢١)

ورغم تأكيدنا من سحب الخيول لعربات الاحتفالات الدينية ، لكن استخدامها بجر العربات بشكل عام لم يكن مجهولاً ، وذلك ما يتضح من فحوى رسالة الى زمري - لم ينصح احد حكامه بعدم ركوب عربة تجرها الخيول ويفضل عليها العربة التي تجرها البغال . وقد يرجع سبب ذلك الى عدم إتقان المران اللازم في استخدام الخيول فضلاً عن تميز البغال بهدونها وتحمل المشاق . ٢٢ ويتأكد لنا سحب الخيول للعربات ايضاً من تقاليد البابليين في استخدام الخيول البيضاء لسحب عربة مردوك خلال الطريق المقدس في بابل (٢٣)

وهكذا تكشف لنا نصوص ماري وكرانا عن معرفة واسعة بالخيول المدجنة وانها استخدمت لجر العربات الملكية والاحتفالات الدينية بالدرجة الرئيسية ، مثلما تؤكد لنا القوالب الطينية التي اشرنا اليها من قبل على استخدام الحصان للركوب ولكن بدرجة اقل ، بخاصة وان مهارات ركوبه وتجهيزه للركوب لم تكن متطورة بالشكل الذي يجعل من ركوب الخيل امراً موازياً لدورها في سحب العربات .

ويؤكد لنا هذا السياق في استخدام الخيل ما جاء في عدد من الحكم والحكايات السومرية ، حيث تبين منها استخدام الخيل للركوب اولاً ، ولكن ذلك كان معرضاً للخطر ، فيرد على لسان احد الاشخاص الذي طرحه حصانه ارضاً مايلي : « اذا كانت رحلتي

دائماً على هذا المنوال سأصبح ضعيفاً (٢٤) ومما تجدر الاشارة اليه زمن هذا النص الذي ينسب الى عهد زمري - لم . ورغم كون اشارة التوراة عن دخول المسيح الى اورشليم وهو راكب على ظهر حمار (متى : ٢١ / ١ - ٧ ؛ يوحنا : ١٢ / ١٤) تصيب في الاتجاه المعاكس الذي يجعل من ركوب الخيل امراً نادراً ومقتصراً على الاستخدامات الخاصة ، لكن الألواح الطينية التي استعرضها موري في بحثه تؤكد انتشار استخدام الخيل للركوب (٢٥) .

اما العربات ، فأن معظم الدلائل المتوفرة ، سواء سحبت العربة من قبل الحصان ام الاخدر او البغل ، تشير الى أنها كانت عربات احتفالية او عربات الملوك والامراء وهم يتنقلون عبر مسافات قصيرة ، ولا نعرف اشارة الى استخدام العربات لاغراض الحرب من هذه الفترة . (٢٦)

وعندما بدأت الخيول تسحب العربات فأنها ابعدت الحيوانات الاخرى المخصصة للسحب ومنها الاخدر ، حيث ان العربات الطقوسية او عربات الاحتفالات الدينية كانت تجرها حمر الوحش العراقية (الاخدر) عادة منذ عصر فجر السلالات . (٢٧)

في ضوء الذي عرضناه نجتهد في رسم الخطوات التالية لبدء وكيفية معرفة العراقيين للخيول :

- ١ - عرف العراقيون الخيول المدجنة من زمن سلالة اور الثالثة وكانت حيوانات نادرة وغالية الثمن وتكلف تربيتها كثيراً .
- ٢ - بدأ استخدامها في جر عربات الاحتفالات الطقوسية وعربات الملوك والامراء لقطع مسافات قصيرة مع عصر آيسن لارسه وبقيت من الحيوانات النادرة وغالية الثمن بدلالة حيازتها وتجاريتها واهدائها من قبل الملوك والامراء .
- ٣ - بدأ ترويض الخيل لاغراض الفروسية خلال هذه الفترة ، ولكن اقتضى ذلك بعض الوقت لتطوير المهارات الخاصة بركوبها وتهيئة المعدات ومستلزمات ركوبها لتصبح من حيوانات الركوب الممتازة وليبدأ بذلك عصر الفروسية في العراق القديم ، الذي

24- Gordon, E.I. «Sumerian Animal Proverbs and Fables- Collection Five» Jcs., XII,(1958) P. 19

25- Moorey: P. 48

26- ibid. P. 159

27- Speiser, op. cit. P. 70

19-ibid

20-ibid.

21-ibid.

22-ibid. P. 164-65

23-ibid. P. 162

نرجح شيوعه مع اواخر الالف الثانية ق . م . على ايام قيام
الدولة الاشورية .

ان السؤال الاخير الذي يتعلق ببدء معرفة العراقيين للخيل ،
يتمثل في كيفية دخول الخيل الى العراق ، وهل دخلته بحالتها
البرية ام المدجنة ؟ (٢٨) ورغم صعوبة البت في هذا الموضوع
لكن التسمية التي اطلقها العراقيون على الخيل لها دلالتها
اللغوية في هذا السياق ، فأن لفظه ANSE.KUR-RA

ترجم عادة الى «الحمار الجبلي» او «حمار الجبل» ، حيث يفيدها
ذلك ضمناً في ناحيتين :

اولاً : تؤكد التسمية على معرفة العراقيين للحمار اولاً قبل
الحصان .

ثانياً : هناك علاقة بين الحصان وبين المناطق الجبلية شمال
وشمال شرق العراق .

كما ان زمن معرفة العراقيين للخيل وهو زمن سلالة اور
الثالثة ، يقترن بنشاطات تجارية بدأها العراقيون مع بلاد
الاناضول ، حيث كانت القبائل الحثية والحورية تدخلها وتستقر
في اقسامها الشرقية والوسطى . (٢٩) وبسبب هجرة هذه الاقوام

من مناطق اواسط اسيا ومناطق السهوب فالراجح انهم دخلوا
الاناضول ومناطق شمال وشمال شرق العراق بخيولهم ، حيث

عرفت طريقها تدريجياً الى مراكز التجارة في بلاد وادي الرافدين
(٣٠) وقد كانت ماري وكرانا واشور من ابرز هذه المراكز ذات

العلاقة التجارية الواسعة مع مراكز الاناضول والتي كانت كانيش
من اهمها . (٣١) ورغم كون الحمار حيوان النقل الرئيسي للمواد

التجارية ما بين العراق والاناضول لكن الخيول تسربت تدريجياً
مع مواد التجارة الى اعالي الفرات ومنطقة الخابور ، حيث كانت

مدن كركميش وقطنا وماري والتي كانت بدورها على صلة تجارية
وسياسية واسعتين بمدن كرانا وجفار بازار واشور وغيرها (٣٢) .

وتورد النصوص اسماء مدن في منطقة كانيش بالاناضول ، على

28- Moorey, op. cit. P. 36

٢٩- جري ، أ . ر . الحثيون . ترجمة محمد عبد القادر محمد .
مطبوعات البلاغ - القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٧

30- Moorey, op. cit. P. 47

13- Dalley, S. PP. 3-7, p:27 note no. 3

32- ibid. P. 161-162

33- ibid. P. 162

انها من مدن تصدير الخيل الى ماري (٣٣) حيث كانت هذه
المناطق ذات طبيعة جغرافية تشبه اقاليم السهوب ، وهي من
افضل الاماكن لتربية الخيل وترويضها ، وللأسباب البيئية ايضاً
شاع استخدام الخيل في شمالي العراق اكثر من مناطق الوسط
والجنوب .

٣- العلاقة بين الخيل وبين الاخدر والحمار والبغل !

ابتداءً نحسم موضوع العلاقة بين الخيل وبين البغل ، فالبغل
حيوان هجين ينجم عن تسييد الحمار للفرس واسمه باللغـة
الانكليزية Mule ، وهو الشائع والمعروف . ولكن قد يسفد
حصان اتاناً ، فينتج عنها نغلاً ، واسمه باللغـة
الانكليزية Hinny . وقد عرف اول الامر في العراق . (٣٤)

ولان التناجين يكونان عادة بعد استئناس الخيول والحمير ،
لذلك تبرز اهمية العلاقة بين الاخدر وبين الخيل ، وبخاصة وانها
يقتربان في الشكل والحجم كثيراً ، كما لا نعرف اشارة عن تلاقح
يقع بينهما ، وربما يرجع سبب ذلك للطبيعة الوحشية التي تغلب
على الاخدر .

فما هو الاخدر : يقول ابن سيده بخصوصه ما يلي :

«الاخدر منسوب الى العراق ، الاخدرى والاخدرية من
الحمير - هو من نسل حمار او فرس يقال له الاخدر ، كانت فيما بين
كاظمة والبصرة . تزعم العرب ان اباها كان فرساً من خيل تبع
ضرب في هذه الحمير في الجاهلية ولا ادري الاخدر هو الفرس او
الحمار ابن الفرس غير ان الحمير تسمى بينات اخدر . (٣٥)

ومما يدعم رأي ابن سيده في الاصل العراقي لهذا النوع من
الحمير ما ذهب اليه بحث حديث بخصوص تدجين النبات
والحيوان ومواطن تدجينها وتاريخ ذلك حيث ينسب اول واقدم
تدجين للاخدر في موقع جرمو في العراق وذلك بحدود الالف
السابعة ق . م . (٣٦) .

٣٤- فيصل دبدوب : «الخيول العربية» مجلة بين النهرين ٤١ -
١٩٨٣/٤٢ ص ٩٧ فما بعد ؛

Moorey, op. cit. P. 38

٣٥- ابن سيده : المخصص . طبعة اولى . بولاق - مصر ١٣١٨
هج ٨ ص ٤٧

36- Berger and Protsch: op. cit. P. 225

ومما يهمننا في موضوع الاخدر ما كشفت عنه التنقيبات في ام الدباغية ، وهو موقع اثري يبعد قليلا الى شمال غرب مدينة الحضر ، حيث كانت نسبة ٦٩ ٪ من عظام الحيوانات فيه تعود للاخدر . وبذلك فهو اكثر المواقع الاثرية في الشرق الأوسط توفراً على عظام الاخدر . وكان لحمه يشكل الجزء الأعظم من اللحم المستهلكة في هذا الموقع ، ولا يوجد دليل على تدجينه رغم كون اهل ام الدباغية دجنوا عدداً من حيوانات العصر الحجري الحديث ، ولكن بقي صيده من مصادر الغذاء الرئيسية في الموقع . (٣٧) .

وتاماً للفائدة نقل وصف زينوفون للاحوال البيئية لاواسط الفرات حيث يقول « ان الارض منبسطة والشيوخ فيها وثير ، وكان القصب وجميع الشجيرات النامية هناك ذات رائحة ذكية كالعطر . لم تكن هناك اشجار بل كانت هناك حياة حيوانية متنوعة ، كانت حمر الوحش بوفرة كما كان النعام والحباري والغزلان بكثرة . وقد تصيد الفرسان كل هذه الحيوانات مرات عديدة . وتعدو الحمر الوحشية اسرع من الخيول ، وكان لحم الحمر اشبه بلحم الضباء ، الا انه اكثر طراوة . ولم يفلح احد في اقتناص النعام . (٣٨) .

ومن احدث المعلومات عن الاخدر ما يذكره المنقب البريطاني لايارد بشأنه ، فقد شاهد قطعياً من (حمر الوحش في طريقه من سنجار الى تلعفر في عام ١٨٤٦ م ، وانها في الركض كالغزال واللحاق بها عمل شاق ولا يعرف الا فرس (او اثنتين) اشتهرت بتمكنها من ذلك . ويقنص العرب احياناً صغار الحمر في الربيع ويربونها على الحليب في الخيم ، وقد سعيت ان احصل على زوج

٣٧ - ساندر بوكوني : « البيئية الحيوانية لموقع ام الدباغية » ترجمة ميسون حسو .

سومر - ١٩٧٤/٣٠ ص ٣٣٥ - ٣٣٧

٣٨ - زينوفون وحملته العشرة الاف : ترجمة يعقوب افرام منصور . الموصل - العراق - ١٩٨٥ ص ٥٩ .
زمن الحملة اواخر القرن الخامس ق . م .

39- Layard, A. H.: Nimeveh and its Remains. London. 1849, uol.I. P.325

نقلت عن : فؤاد سفر : البيئية الطبيعية القديمة في العراق .

سومر - ١٩٧٤/٣٠ ص ٧

40-Goff, P. Laura: Symbols of Prehistoric Mesopotamia New Hoven and Landon- 1963. Fig. no. 210

41- Speiser : op. cit. P. 70 .

منها . ولون الحمار بلون الخشف (فرخ الغزال) قريب من اللون الوردى الفاتح ، ولا يزال العرب ياكلون لحم حمر الوحش . (٣٩) .

وهناك دمية للاخدر جاءتنا من تبة كورا ، تؤرخ بالفترة العبيدية (حوالي الالف الرابعة ق . م .) (٤٠) . والراجح الان ان الحيوانات التي كانت تسحب العرب في مقبرة اور هي من نوع الاخدر . (٤١) . وتؤكد للباحثين بان الحيوانات التي تسحب العربات في لوحة راية اور (وهي لوحة تذكارية سومرية من منتصف الالف الثالث ق . م . موجودة الان في المتحف البريطاني) هي من نوع الاخدر أيضاً . (٤٢) . كما ان العربة البرونزية من تل اجرب (وهي من معروضات القاعة السومرية في المتحف العراقي ببغداد) . والتي يرقى زمنها الى النصف الاول من الالف الثالث ق . م . كانت تسحبها اربعة من حيوان الاخدر او حمر اعتيادية لكنها ليست خيولاً بالتأكيد . (٤٣) .

والمهم في هذا السياق التأكيد على معرفة العراقيين للعربات عامة والعسكرية منها على وجهه الخصوص قبل معرفتهم للخيول . ولكن يبقى السؤال المهم حول الموضوع يتمثل في كيفية تمييز الاخدر عن الحصان . ان المخلفات الاثرية ، وبخاصة صور الحيوانات في المنحوتات البارزة للقصر الشمالي في نينوى ، وهو من مشيدات الملك آشوريانبال ، قدمت دلائل وبيانات تفصيلية جسدت موضوع الفصل والتمييز بين أشهر واقدم حيوان للسحب والركوب في العراق القديم وهو الاخدر وبين الخيول التي دخلت العراق وشاع استخدامها في وقت لاحق . (٤٤) .

٤٢ - پارو ، أ : سومر . ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي .

بغداد - ١٩٧٨ . ص ١٩٦

٤٣ - نفس المصدر . ص ٢٠٢

44- Moorey: op.cit. P.37.

انظر ايضاً پارو : اشور . اللوحة (٧٢) حيث تصادف مشهداً لعدد من حمر الوحش (الاخدر) يطاردها صيادون تساعدهم كلاب الصيد . انظر ايضاً :

Stromenger, Eva: The Art of Mesopotamia. London. 1964

اللوحة ٢٥٩ الاخدر واللوحات ٢٥٦ - ٥٨ للخيول . وهي افضل الصور على الاطلاق التي تقدم تفاصيل التمييز بين الحيوانات وذلك بفضل براعة النحات الاشوري وجسنا ادائه لاعماله الفنية

أن من أبرز مواصفات الهيئة العامة وشكل الإخدر هي اذنيه ، التي تكون أقصر من أذني الحمار ، وراسه كبير الشبه براس الحصان ، وهو السبب في الخطأ الذي يقع فيه كثير من الباحثين عند التمييز بين الأخدر وبين الحصان . لذلك فانه أبرز خاصيتين للتمييز بينهما تتمثلان في الذنب وشعر أعلى الرقبة . فشعر أعلى الرقبة عند الاخدر قصير ويتميز بالانتصاب ، بينما ميزة نفس الشعر عند الحصان الطول حتى انه بسبب طوله يتدلى على جانب الرقبة . أما ذيل الاخدر فبدايته قليلة الشعر ينتهي بفروة كثة ، وهو أقصر من ذيل الحصان الذي يتميز بغزارة الشعر من بدايته حتى النهاية . (٤٥) وبموجب هذه الفروقات أمكن تمييز الحيوان العراقي الرئيسي الذي أستخدم للسحب والركوب ، وبقيت أعداد كبيرة منه في حالتها البرية تملأ البوادي الغربية وتفتح شهية الصيادين بسبب طراوة لحمه الشهى أو لأغراض الرياضة ، وربما للغرضين في آن واحد .

أن جميع الدلائل تشير الى الأخدر وليس الحصان في المخلفات الأثرية العراقية للفترة التي سبقت الألف الثانية ق . م . لذلك فلا مجال للشك في ان دمية خفاجي التي أشرنا اليها من قبل ، حيث انها الوحيدة التي يعتقد أنها لحصان ، هي الاخرى لحيوان الاخدر ، كما أن جميع القرائن الأثرية واللغوية تضع بدء معرفة العراقيين للخيول مع أواخر الألف الثالثة ومن عصر سلالة أور الثالثة على وجه التحديد .

٤- أستخدم الخيل وتاريخ الفروسية في العراق :

هناك أمر يحتاج الى مزيد من التقصي والبحث يتعلق بأستخدم الخيل في العراق القديم . فاذا كانت الخيول قد دخلت العراق مدجنه ، فلماذا لم تدخل معها طرائق ركوبها واعدادها حيث ان الملاحظ على بدايات أستخدم الخيل ان الناس قلدوا في ذلك أستخدم الأخدر ومن قبله الثور ، وبخاصة في تثبيت حبل القيادة . فهل يحتمل أن يكون ترويض الخيل وتجنينها وقع في منطقة ما من فلات البوادي الشاسعة الكائنة ما بين العراق والشام والاناضول؟ ، اي في مناطق الفرات الوسطى والعلوية ، حيث عرفنا أنها كانت من أشهر مناطق تربية الخيول وتجارتها على مطلع الألف الثانية ق . م . وعلى العموم ، فرغم صعوبة الأجابة على

هذا السؤال في حدود المعلومات المتوفرة ، ولكن سنكشف لنا سبل أستخدم الخيل ومعداتها في العراق القديم عن أهمية هذا الموضوع .

تشير المعلومات المتيسرة الى أستخدم الخيل في سحب العربات وفي الركوب . وان الصور القليلة التي حفرت على بعض الأختام تظهر حبل القيادة يشد أنوف الحيوانات التي تسحب العربات ، مع تعذر إمكانية تشخيص نوع الحيوان . ولكن سواء كانت الحيوانات خيولا أم حمراً وحشية أسبوية (الاخدر) فالهم في هذه الرسوم طريقة قيادتها بواسطة حبل يربط الى حلقة معدنية تمر في الحد الفاصل بين منخري الحيوان ، وهي الطريقة التي تتوضح جلية في صور بعض الخيول التي يمتطي ظهورها فرسان .

أن هذه الطريقة في قيادة الفرس تسربت دون شك عن طريقة قيادة الأخدر ومن قبله الثور . (٤٦) . وكما هو واضح في راية أور ، فان الحيوان يقاد بحبل واحد ، وفي نموذج معين أمكن التوضيح من حبلين للقيادة (٤٧) . مع العلم أن الدلالات اللغوية تشير الى حلقة الانف وحلقة الفك في آن واحد . (٤٨) .

أما عن كيفية ركوب الفارس فوق ظهر جواده ، فكما يكشفه قالب طيني لخيال ، فهو يجلس فوق مؤخرة ظهر الحصان ، وهي الطريقة التي تناسب ركوب ظهر الأخدر والحمار ، وغير مناسبة للفارس والفرس . كما نجد الخيال يثني ساقيه لتكون قدماه ملامسة لجسم الفرس ، ربما ليدفعها الى الجري السريع عن طريق ركلها بقدميه ويمسك الفارس بيده اليسرى حبل القيادة الذي يتدلى واضحا أسفل رقبة الحيوان ، تشد نهايته حلقة معدنية ، وهي الاخرى واضحة ، تعبر منخري الحيوان ، كما يستند بسراه ايضا على ظهر الحصان لموازنة نفسه عند الجري . أما يده اليمنى فهي مدفوعة الى الوراء قليلا ويمسك بها عصا تلامس مؤخرة الفرس . ويشاهد أيضا عند نهاية الرقبة من الاسفل شكل كروي يوحي بانه حليه او جرس ، كما يتبين بوضوح حزام عريض يشد جسم الفرس عند مقدمتها ، ولانعرف هل أن الجزء الظاهر من الحزام هو من عدة كانت توضع على ظهر الحيوان أثناء ركوبه لتقليل الاحتكاك بين جسمي الفارس والفرس أم أنها موضع ثابت يتشبث به الفارس ويوازن جسمه عند الجري ، مثلما يفعل الفارس حاليا عندما يمسك بمقدمة قوس السرج .

أن الصورة التي نعرض لها ان تؤكد ركوب الفارس ظهر

47- ibid.

48- ibid. P. 42

45- Moorey: op. cit. P. 37

46- ibid. P. 41

حصان ، وذلك بدلالة شعر أعلى رقبة الحيوان المتدلي على جانبها وكذلك غزارة شعر ذيل الحيوان في كل اقسامه . (٤٩) .

وهناك لوحة ثانية تكشف عن فارس على ظهر حيوان لا يمكن التعرف على نوعه بسبب تلفها ، ومهما كان نوع الحيوان فالمهم في هذا الشكل ان الفارس يمتطي ظهر الحيوان بنفس الاسلوب الذي شاهدهنا في اللوحة السابقة .

وهناك صورة خيال في لوحة ثالثة ، نتأكد كون الحيوان فيها حصاناً بدلالة شعر أعلى رقبته وذيله . يجلس الفارس فيها فوق منتصف ظهر الحصان ويثني ساقيه حيث أختفى قسم منها أسفل حزام عريض يشد جسم الحصان امام موضوع جلوس الفارس . أما حبل القيادة فيشد بحلقة في أنف الحيوان ، كما تتضح صورة الجرس او الدلاية عند النهاية السفلية للرقبة . ولكن يمين الفارس التي كانت في حالة الصورة الاولى تمتد الى الورا وتمسك بالعصا ، فانها في لوحتنا هذه تمسك بمقدمة السير او الحزام العريض الذي يشد جسم الحيوان . ويبدو من وضعية جسم الحيوان وجسم الفارس الذي يركبه ، أن الفارس يسحب الفرس للورا ربما استعداداً للانطلاق ، بينما كشفت الصورتان السابقتان عن خيول في حالة الجري .

أن الامر الملاحظ في صور هذه اللوحات ، حجم الخيول الصغير بالقياس الى حجم الفارس ، فهي بذلك لا يزيد حجمها كثيراً عن حجم الحصان من نوع Poney ، (٤٩) ، وقد شهدت الخيل متغيرات فسلجية في حجمها وارتفاعها ووزنها بعد مرحلة تدجينها ، وذلك تبعاً للظروف الجديدة في البيئات المختلفة التي إنتقلت اليها (٥٠) ولهذا السبب تتميز الخيول الاوربية ببدانتها وغزارة شعرها وقصرها بالقياس الى الخيول العربية ، التي ميزتها الرشاقة وتناسق الاعضاء وطول قوائمها . فيستفاد من الاولى لاغراض السحب والحمل ، بينما أشتهرت الخيول العربية بسرعة الجري . ولكن متغيرات معاكسة طرات على الخيول الاوربية عند وصولها الى آيسلندا في أيام الفايكنج ، حيث كانت من النوع الثقيل ، ولكنها تبعاً للاحوال البيئية غير الملائمة في وطنها الجديد تحولت الى نوع Pony . (٥١)

لقد اشرنا من قبل الى تواريخ هذه اللوحات ، وقلنا أنها تمتد ما بين اواخر سلالة اور الثالثة والى العهد البابلي القديم . (٥٢) وعليه وبموجب تاريخ هذه اللوحات ، فان معلومات نصوص ماري وكرانا التي تتحدث عن معدات ولوازم الخيل ، تعد مهمة ومفيدة فيما له علاقة باستخدام الخيل .

يذكر أحد نصوص ماري المواد التالية «٣ واقبات صدر من النوع الممتاز ، قطعتان من نسيج قطني أوكتاني ، قطعة نسيج من نوع Hiram للمقعد . ٤ ازواج مشابك (بزيما) ٤ أزواج من السيور الممتازة . زوج من أغطية عين جلدية» ، (٥٣) ، أن هذه المواد يمكنها أن تفيد لتهيئة الخيول لسحب العربات بخاصة وأن أغطية العين لانجدها على صور خيول الفروسية . وبسبب أنعدام تسمية اللجام وأقسامه بين مستلزمات تهيئة الخيل للركوب أو السحب ، يبدو واضحاً ان طريقة القيادة بواسطة حلقة الانف بقيت شائعة في الفترة الاولى لاستخدام الخيل ، وأن اللجام لم يعرف إلا مع أواخر الألف الثانية ق . م . رغم ما أحدثه استخدام اللجام من تطور في تسيير عربات الحرب . (٥٤) .

ومع توفر دلائل الفروسية والاستفادة من ظهور الخيل للركوب ، ولكن أقتصرت الاستفادة الرئيسية من الخيول في الشرق عامة بايدي الامر على سحب العربات عامة والعربات العسكرية منها بوجه خاص ، حيث حل الحصان في عمله هذا محل الثور والاحدر والحمار . (٥٥) والنتيجة النهائية التي بمقدور المتتبع أن يستنتجها بخصوص استخدام الخيول وتقاليد ترويضها والاستفادة منها ، أنه رغم كون الخيل حيوانات أوراسية دخلت الى مناطق الشرق الأدنى بحدود أواخر الألف الثالث ق . م . وهي مدجنة ، ولكن مبادئ استخدامها للفروسية أو لسحب العربات مع كل المستلزمات التي تقتضيها هاتان العمليتان ، إنما أستندت الى التقاليد المتوارثة في هذه المناطق منها التعامل مع الثيران أو الحمير أو الاحدر ، مع ما أصاب هذه التقاليد من تطور تدريجي أقتضته عوامل عديدة ، منها ذات علاقة بالخصائص الطبيعية للحصان نفسه^(٥٦) . فمثلاً بقي الفرسان الاشوريون الى أواخر تاريخ دولتهم يمتطون ظهور جيادهم دون مساند لأقدامهم

53- Moorey. op. cit- P. 41

54- Dalley, S.: op. cit. P. 162

55- ibid. P. 163

56- Broth well and Higgs: op. cit. P. 268

49- Dalley, S.: op. cit. P. 163. Fig. no. 50

50- ibid. P. 162

51- Brothwell and Higgs: op. cit. P. 269

52- ibid. P. 269

(الركاب) . كما ركب الفرسان الاوائل فوق الاقسام النهائية لظهر الحصان في تقليد واضح لطريقة ركوبهم للحمر ، رغم كونها غير ملائمة للحصان بسبب خصائصه التشريحية .
ومثلما تطور الحصان بايولوجيا في البيئة العربية ليشكل

السلالات العربية المتأزاة من الخيول . فان كثيراً من المهارات والتقاليد والاجهزة الخاصة بالركوب ، إنما واصلت تقاليدها القديمة مثلما كانت مع حيوانات النقل والسحب والركوب ، وتطورت تبعا للمتغيرات الكثيرة التي اصابته شعوب الشرق الأدنى القديم



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي